رقمنة المخطوطات والوثائق السودانية بمكتبة جامعة بيرغن: مجموعة الخرطوم نموذجاً

د. خليفة محمد عمر

قسم التاريخ – جامعة الخرطوم

Dr. Alexandros Tsakos

قسم المخطوطات والكتب النادرة- مكتبة جامعة بيرغن

Marianne Paasche

الأرشفة الرقمية- مكتبة جامعة بيرغن

المستخلص

يتناول هذا المقال أهمية المخطوطات والوثائق السودانية المحفوظة في قسم المجموعات الخاصة بمكتبة جامعة بيرغن بالنرويج، حيث يستعرض الدور الذي قام به الباحثون النرويجيون وغيرهم من الباحثين الغربيين في جمع هذه الوثائق إضافة إلى جهود جامعة بيرغن في حفظها رقمنتها. كما يناقش البحث دور مكتبة جامعة بيرغن في إنشاء مستودع رقمي يتيح للباحثين حول العالم الوصول إليه هذه المواد. وتعكس الوثائق السودانية بجامعة بيرغن تطور المجتمعات السودانية وتوثق أنشطتها الفكرية عبر الحقب التاريخية. كما تشكل مصدراً مهمّاً للتراث السوداني خارج البلاد. ويُسلّط المقال الضوء على وثائق مجموعة الخرطوم التي صُوِّرت في الخرطوم على يد بروفيسور شون أوفاهي أو زملائه من الباحثين أثناء زيارتهم العلمية إلى السودان، حيث كانت الخرطوم مركزاً لنشاطهم البحثي. وتتميز هذه المجموعة بتنوّع موضوعاتها وسعة نطاقها الجغرافي والتاريخي وتعدّد مصادرها فضلاً عن البيانات الوصفية الخاصة بها، ويهدف المقال إلى تحفيز المؤسسات الأكاديمية السودانية والباحثين السودانيين على استكشاف هذه الموارد المهملة وتعزيز الاهتمام الأكاديمي بها.

الكلمات المفتاحية: المخطوطات السودانية- مكتبة جامعة بيرغن - مجموعة أوفاهي – رقمنة – أرشيف السودان -مجموعة الخرطوم

Abstract

This study explores the cultural and historical significance of the copies of Sudanese manuscripts and documents housed in the Special Collections of the University of Bergen Library in Norway. It examines the contributions of Norwegian and other Western scholars to the collection and preservation of these documents as well as the University of Bergen's efforts to digitize them in order to safeguard and expand, global access through a digital repository. The Sudan Collection of Bergen offers valuable insights into social developments over several centuries and serve as crucial resource for intellectual engagement with Sudan's historical legacy. The article then focuses on a specific collection of manuscripts copied in Khartoum by the late Professor O'Fahey or collected by him and his colleagues during their research visits to Sudan when Khartoum was the basis of their activities. This so-called "Khartoum collection" encompasses a wide range of themes spans diverse geographical and temporal contexts and is already, accompanied by detailed metadata. Ultimately the study encourages Sudanese academic institutions and researchers to utilize these resources and advocates for further scholarly exploration of Sudanese heritage in international contexts.

Keywords: Sudanese Manuscripts – University of Bergen Library – The O'Fahey Collection - Digitization – Sudan Archives – Khartoum Collection

مقدمة:

تعد المخطوطات كنزا حضاريا وثقافياً قيماً، يعكس عراقة الشعوب ومدى تطورها عبر الحقب التاريخية، وتقف شاهداً على إسهاماتها عبر العصور التاريخية. ويدل على النشاط الثقافي الذي كان سائداً فيها، وعليه فالمخطوطات مرآة تعكس الحياة الثقافية للزمان والمكان الذي ولدت فيه، مما يدعو إلى العناية بها بأعلى قدر ممكن. ولذلك نجد أن الكثير من المكتبات ومراكز المخطوطات المعروفة تسابقت لاقتناء هذه الكنوز المعرفية وأولت عناية خاصة بها، ووفرت لها كل السبل للحفاظ عليها. كما تنافست هذه المكتبات والمراكز في بذل الجهود للتعريف بما لديها من مخطوطات ووثائق، وجذب انتباه الباحثين إليها ونشرها بمختلف الطرق وإتاحة الفرص للاستفادة منها مما جعل من هذه المكتبات والمراكز قبلة للدارسين والباحثين.

ويجد الدارس للتراث الثقافي السوداني المخطوط أن بعضاً منه يوجد خارج السودان في عدد من مكتبات الجامعات ودور الوثائق الدولية. ومن بين تلك المكتبات الجامعية مكتبة جامعة بيرغن التي تختزن نسخاً مصورة، وصوراً فتوغرافية لعدد من المخطوطات والوثائق السودانية. وتُعد الوثائق السودانية بجامعة بيرغن من أهم الوثائق السودانية الموجودة خارج السودان. وتنبع أهمية هذه الوثائق في الفترة التاريخية التي تغطيها وتنوع موضوعاتها ومناطقها الجغرافية. فضلاً عن أنه تم جمع الغالب منها بواسطة عدد من الباحثين النرويجين والأوربيين، وهو ما لا يتوافر في أغلب مراكز الوثائق السودانية خارج السودان. ولقد دفعت التطورات التكنولوجية المتسارعة التي تتيح حفظ المحتوى الرقمي وعرضه وإمكانية الوصول إليه، قسم المخطوطات بجامعة بيرغن إلى الشروع في رقمنة المخطوطات الوثائق السودانية وإنشاء قاعدة بيانات على الإنترنت، توفر للباحثين والدارسين أداة قيّمة للبحث في التراث السوداني، وجعلها في متناولهم في أي مكان في العالم.

وبالرغم من أهمية مخطوطات ووثائق مكتبة جامعة بيرغن - كما قدمنا - إلا أنها تبدو شبه مجهولة للعديد من الباحثين السودانيين؛ ولذلك يأتي هذا المقال لتسليط الضوء على هذه الوثائق بوصفها أحد المواقع المهمة التي تختزن التراث السوداني المخطوط، ولجذب انتباه الباحثين لها ودعوتهم إلى سبر أغوار ما فيها من معلومات. وسيسلط هذا المقال الضوء على بداية اهتمام الباحثين النرويجيين بالدراسات السودانية، وتاريخ إيداع هذه المخطوطات بجامعة بيرغن عامة، وجهود جامعة بيرغن في المحافظة على الوثائق السودانية والجهود التي تقوم بها جامعة بيرغن لرقمنة لهذه المخطوطات لأجل إتاحتها للدارسين. ثم يلقي الضوء على مخطوطات ووثائق مجموعة الخرطوم خاصة. حيث يشير إلى مصادرها والفترة التاريخية التي تغطيها وأصولها الجغرافية المواضيع التي تناولتها والحالة العامة لتلك الوثائق وكتلوج البيانات الوصفية، ونماذج من الصور لبعضها، ثم إعطاء لمحة عن محتويات إحدى الملفات داخل هذه المجموعة.

بداية اهتمام الباحثين النرويجيين بجامعة بيرغن بالدراسات السودانية:

أدى اهتمام علماء الأنثروبولوجي النرويجيين بدراسة المجتمعات والثقافات الأفريقية إلى نشأة أقدم تعاون أكاديمي دولي لجامعة بيرغن مع جامعة الخرطوم في عام 1963م، ويأتي على رأس هؤلاء الباحثين عالم الأنثروبلوجيا الشهير فريدريك بارث. الذي قام بإجراء بحثٍ ميدانيٍ في السودان برفقة قونار هولاند وزوجته راندي هولاند والتي أصبحت فيما بعد من أشهر علماء الآثار الأفريقية في العالم. ومع مرور الوقت، توافد المزيد من علماء الأنثروبلوجيا على السودان، من أمثال قونار سوربو، ليف مانقر، وفرودا ستوراس، وفي المقابل فتح هذا التعاون بين الجامعتين الباب لقدوم باحثين سودانيين إلى بيرغن، حيث حصل عبد الغفار أحمد على أول درجة دكتوراه في الأنثروبلوجيا الاجتماعية من جامعة بيرغن.

ولم تقتصر الاستفادة من هذا التعاون الأكاديمي على علم الأنثروبولوجي أو الباحثين النرويجيين فقط بل امتد ليشمل تخصصات أخرى وعلماء غربيين آخرين. فقد تعرّف قونار وراندي هولاند أثناء رحلاتهما إلى السودان على عالمين كان لهما فيما بعد مساهمات بارزة في الدراسات السودانية بجامعة بيرغن وهما عالم المصريات ريتشارد هولتون بيرس والمؤرخ ريكس شون أوفاهي، كان بيرس خبيرًا في أغلب اللغات القديمة، حيث عمل في السودان خلال حملة سد أسوان العالي، وقد شارك في التنقيب في موقع دورقنارتي في بعثة حملة إنقاذ آثار النوبة لمعهد شيكاغو للدراسات الشرقية، كما عمل أستاذاً زائراً بجامعة الخرطوم، ثم استقر في نهاية المطاف بالنرويج حيث كانت زوجته فنك بيرس من بيرغن. والتي كان قد التقى بها أثناء دراستهما في جامعة أوكسفورد، وهي الوحيدة من بيرغن التي اشتركت في حملة سد أسوان.

وقد نشط بيرس في جمع مصادر الدراسات السودانية؛ فقد أنشأ مجموعة قراءة مع زملائه المختصين بالكلاسيكيات في جامعة بيرغن، وهم توماس هق وتورمود أيدَ. كان هق قد طور بالفعل اهتمامًا بالسودان القديم من خلال دراسته، وكان متحمسًا لدعم أفكار بيرس في قراءة المصادر القديمة عن السودان المكتوبة باليونانية واللاتينية ضمن مجموعتهم. وقد أضاف بيرس إلى ذلك موضوعه المفضل، وهو اللغة المصرية القديمة، وكذلك اللغة القبطية، مع ما يمكن فهمه من الدراسات الناشئة في فقه اللغة المروية، وقد قررت المجموعة تجميع مجموعة من جميع المصادر المكتوبة حول النوبة القديمة من فترة ما قبل التاريخ حتى العصور القديمة المتأخرة. وقد قام البروفيسور المجري المتخصص في تاريخ السودان القديم، لازلو توروك، بكتابة التعليقات التاريخية للمجلدات الثلاثة التي أصبحت تُعرف باسم (Fontes historiae Nubiorum (FHN)) "مصادر تاريخ النوبة"، والتي نُشرت في بيرغن في التسعينيات من القرن الماضي.

وخلف كواليس هذا الجهد الضخم، قام محررو FHN بتجميع جميع الأعمال المنشورة المعروفة التي كانت ضرورية لإنجاز عملهم، إلى جانب المواد الفوتوغرافية، فضلاً عن مجموعة هائلة من الملاحظات

التي وثقت عملية إنتاج المجلدات الثلاثة التي أضيف إليها لاحقًا مجلداً رابعاً يحتوي على فهارس المجلدات الثلاثةً. هذه المجلدات الأربعة متاحة الآن على الإنترنت من خلال بوابة المجموعات الخاصة بجامعة بيرغن لتمكين الجميع من الوصول إليها مجانًا.

أما أوفاهي، فهو أيضاً متزوج من نرويجية إلا أن ذلك حدث بعد إقناعه بالانتقال من الخرطوم حيث كان يعمل بقسم التاريخ بجامعة الخرطوم إلى بيرغن حيث كانت الدراسات السودانية تشهد ازدهاراً فضلاً عن أنه كان قد أصبح له عدد من الأصدقاء في بيرغن خاصةً علماء الأنثروبولجي الذين التقاهم في السودان. وقد جلب أوفاهي معه ثمرة أبحاثه بوصفه مؤرخا، حيث جمع مصادر أولية، من المكتبات المحلية في السودان أو عن طريق تصوير الأرشيفات العائلية على طول السودان النيلي أو من دارفور، المنطقة التي أصبح فيها أكثر المؤرخين إنتاجاً وتأثيراً.

وقد تم جلب هذه النسخ الفوتوغرافية للمخطوطات وصور الوثائق الأصلية إلى بيرغن، وكانت تتكون في الأساس من ثلاث مجموعات أساسية. المجموعة الأولى هي الوثائق القانونية من مناطق مختلفة من السودان - وباستثناء دارفور، فإن وادي النيل الأوسط وكردفان هما الجزء الأكثر تمثيلاً في هذه المجموعة. أما المجموعة الثانية فتتعلق بالطرق الصوفية السودانية، مع التركيز على الطائفة الإدريسية التي كانت محور اهتمام أوفاهيا. أما الثالثة فهي مجموعة من النصوص المتنوعة التي جمعها أوفاهي من المكتبات والأصدقاء والزملاء. وقد أثمرت تلك المجهودات نتائج عدة من بينها نشر المجلدات الأولى من سلسلة Arabic Literature of Africa بالتعاون مع جون هونوك من جامعة نورث ويسترن في الولايات المتحدة الأمريكية.

أما من منظور جامعة بيرغن فقد كانت النتيجة الأكثر أهمية أن كل ما جمعه بروفيسور أوفاهي من مخطوطات ووثائق مصورة إلى جانب المصادر الثانوية ذات الصلة، قد تبرع بها لمكتبة الجامعة، حيث شكّلت نواة مجموعة السودان. وقد أضاف طلاب وزملاء أوفاهي وزملاؤه، مثل ألبرت هوفنهاينز، أندرس بيركيلو، أينار توماسن، وجي اسبولدنق، بعضاً مما لديهم من مخطوطات ووثائق إلى هذه الكنوز التي أصبحت الآن تحت رعاية قسم المجموعات الخاصة. بمكتبة جامعة بيرغن. ويعمل قسم المجموعات الخاصة باستمرار على تنظيم أرشيفات بيرس، هق، أوفاهي وزملائهم ومدرسة بيرغن للأنثروبولوجي.

مجهودات جامعة بيرغن في رقمنة وحفظ الأرشيف السوداني

تُعد أرشيفات الوثائق التاريخية جزءًا أساسيًا من التراث الثقافي لأي بلد. ولذلك، من المهم للعامة والباحثين أن تكون هذه الوثائق متاحة عبر الإنترنت، ليتمكنوا من قراءتها ودراستها بغض النظر عن الزمان والمكان. كما أن توفير المصادر الأولية رقميًا ذو قيمة كبيرة للبحث، حيث أن الاعتماد على المصادر الثانوية

قد يؤدي إلى اقتباسات خاطئة يتم تكرارها وتضخيمها بمرور الوقت. ولذا يقوم قسم المجموعات الخاصة بمكتبة جامعة بيرغن، بصورة راتبة برقمنة الوثائق وجعلها متاحة عبر موقع marcus.uib.no ، وهو بوابة قسم المجموعات الخاصة للصور والنصوص التاريخية.

على الرغم من أن مجموعة السودان تُعد مهمة للغاية، إلا أنها لا تمثل إلا جزءًا ضئيلاً من المجموعات الخاصة في جامعة بيرغن، التي تمتد عبر عشرات الأمتار من الأرفف. إلا أنه من حسن الحظ أننا قد تمكنا في قسم المجموعات الخاصة من خلال مشروع SNAC، من إعطاء أولوية لفهرسة بعض المخطوطات والوثائق السودانية ورقمنتها واتاحتها عبر الإنترنت. وهذا يُعد ذا أهمية بالغة خاصة في ظل الحرب الدائرة الآن والتي تعرض هذا التراث الثقافي داخل السودان للخطر، وتجعل من غير المؤكد ما إذا كانت جميع الوثائق الأصلية لا تزال موجودة.

نظرًا لأن مكتبة جامعة بيرغن – ولحسن الحظ- تمتلك فريق تطوير خاص بها، فقد استطاع قسم المجموعات الخاصة من إنشاء بنية تحتية رقمية محلية. أما في المكتبات لا يتوافر فريق تطوير داخلي، فيمكنها النظر في إمكانية تنفيذ مثل هذه المشاريع بالتعاون مع قسم تكنولوجيا المعلومات بجامعاتها، ثم تنتقل رعايتها لاحقاً لعمادات تقنية المعلومات المركزية في تلك الجامعات.

ويستخدم قسم المجموعات الخاصة نظام ماركوس Marcus لرقمنة الوثائق وهو نظام رقمي يساعد في تحويل الوثائق الورقية إلى نسخ رقمية، مما يسهل تخزينها وإدارتها وتبادلها بشكل آمن وفعال. كما يتيح للمستخدمين البحث عن الوثائق بسهولة، وتنظيمها، وتعديلها، بالإضافة إلى مشاركتها مع الآخرين عبر الإنترنت.

يُعد نظام ماركوس (Marcus) ، من أكثر الأنظمة مناسبة لتنظيم البيانات المعرفية. ويقوم قسم المجموعات الخاصة بفهرسة الوثائق حسب النوع، مع حقول تعريفية مميزة لكل وثيقة. حيث يتم منح جميع الوثائق معرفًا أو كشافاً (Identifier) فريدًا وذا دلالة، حيث يحمل كل جزء من المعرف – والتي يتم الفصل بينها بفواصل- دلالة خاصة: فبداية المعرف أو الكشاف تُحدد المؤسسة (جامعة بيرغن)، بينما تحدد الأجزاء التالية المجموعة الرئيسية، المجموعة الفرعية، ورقم الوثيقة. وكمثال على ذلك معرِّف وثيقة من مجموعة الخرطوم في أرشيف شون أوفاهي (Ms 2199) يشير بوضوح إلى الانتماء المؤسسي للمجموعة: ubb-ms-2199-kh

ويتبع الهيكل التالي:

= ubb •مكتبة جامعة بيرغن،

= ms •مجموعة المخطوطات،

= 2199 •أرشيف شون أوفاهي،

= kh •مخطوطات الخرطوم التي صورها أوفاهي.

يتم تعيين المعرِّفات أو الكشافات بناءً على الهيكل الأصلي للأرشيف، مما يعني أن منشئ الأرشيف قد أعد ترتيبًا منطقيًا يتعين علينا الحفاظ عليه لاحقًا. وفي حالة إذا كان الأرشيف غير منظم، فإننا نقوم ببناء المعرفات بعد إكمال عملية الترتيب المادي.

يتم مسح المستندات ضوئيًا بدقة عالية ويتم حفظها دائمًا كملفات بصيغةTIFF ، وهو ملف غير مضغوط يحافظ على جودة البيانات. ويتم تخزين ملفات TIFF على شبكة (خادم) الجامعة، والتي تحفظ من جانبها نسخة احتياطية لهذه الملفات، ومن ثم يتم تحميلها على خادم ماركوس، حيث يتم إنشاء ملفات ثانوية بصيغة JPG منخفضة الدقة لتلبية الاحتياجات المختلفة للعرض والتنزيل. ويجدر هنا الاشارة إلى أن الصورة الرقمية لن تحل أبدًا محل الوثيقة الفعلية وخصائصها المادية - حيث لا يمكن دراسة العديد من الجوانب للمخطوط إلا عبر الوصول إلى المستند الأصلي. إلا أنه في بعض الحالات، قد تكون الصورة الفوتوغرافية أو الملف الرقمي هي الأثر الوحيد المتبقي بعد فقدان الأصل، ولهذا السبب، من الضروري أن يتم حفظ كل من الصور الفوتوغرافية والملفات الرقمية من الضياع وضمان استخدامها على المدى الطويل.

ويساعد وجود بيانات وصفية دقيقة، إلى جانب فهرسة الوثائق الفردية في محركات البحث الرئيسية، على تحسين إمكانية البحث والاكتشاف وليس فقط قاعدة البيانات نفسها. حتى عندما يكون الملف متاحًا رقميًا، فإن "موجة الرقمنة" غالبًا ما تؤدي إلى فقدان التركيز ومن ثم إمكانية الوصول إليه. إذ إن الكم الهائل من الملفات الرقمية والمعلومات عبر الإنترنت يعني أن الوثائق المهمة قد تكون موجودة دون أن يتم العثور عليها أو قراءتها. ويمكن استخلاص البيانات الوصفية من الفهارس، البطاقات التعريفية، أو الوثائق نفسها. بالنسبة لأن قسم المجموعات الخاصة، لا يمتلك خبراء متخصصين في الوثائق التاريخية العربية أو السودانية، فإن القسم يعتمد على فهارس وصفية منظمة بشكل جيد للوثائق غير المرقمنة.

ويختلف توفر مثل هذه الفهارس في مجموعة أوفاهي من مجموعة لأخرى. ففي مجموعة دارفور، هناك سجل تفصيلي لكل وثيقة في المجموعة. أما في مجموعة الخرطوم فلم تتح لأوفاهي الفرصة لإنشاء سجل مماثل، ولذلك نعتمد بالكامل على مساعدة الخبراء لإنشاء فهرس يضيف بيانات وصفية تعزز إمكانية البحث والاكتشاف المستقبلي.

مجموعة الخرطوم:

إن الحديث عن التراث السوداني المخطوط له أهمية خاصة باعتباره جزءاً أصيلاً من مصادر التراث الثقافي السوداني المكتوب، والذي لا يمثل ما تمت رقمنته منه إلا النزر اليسير، مقارنة مع الكم الهائل من النصوص المخطوطة في التراث السوداني. ويكفي أن نذكر في هذا الصدد أن دار الوثائق السودانية لوحدها تحتضن أكثر من الثلاثين مليون وثيقة مازل جلها ينتظر الرقمنة والاتاحة للباحثين والدارسين، فضلاً عن اقتناء عدد من المكتبات المرموقة حول العالم لبعض هذا التراث من بينها مكتبة جامعة بيرغن. ولعل الأخير هذا أفضل حظاً من الموجود في السودان من حيث الاهتمام والحفظ، ومساعيي الإتاحة للدارسين إلا أنه ليس معروفاً إلا لعدد قليل من الباحثين. إن قلة ما تمت رقمنته وإتاحته خاصة من المخطوطات والوثائق داخل السودان جعلت الكثير من هذه الكنوز مجهول للباحثين والدارسين والجمهور عامة.

تمثل المخطوطات والوثائق في مجموعة الخرطوم جزءًا يسيراً من الوثائق السودانية بجامعة بيرغن، ومجموعة واحدة من بين المجموعات التي جمعها بروفيسور أوفاهي وأودعها بقسم المخطوطات بجامعة بيرغن. فقد سمح عمل بروفيسور أوفاهي بجامعة الخرطوم في الفترة من 1966 – 1970م - الذي جعل تاريخ السودان مجالاً لتخصصه - وزياراته المتكررة إلى السودان وعلاقاته مع العديد من السودانيين وبعض البيوتات السودانية، وكذلك الباحثين النرويجيين والغربيين، يضاف إلى ذلك فقد لعب دوراً بارزاً في التعاون بين جامعة بيرغن وجامعة الخرطوم ودار الوثائق القومية؛ مما سمح له بالحصول على العديد من المخطوطات والوثائق حيث بلغ ما أودعه جامعة بيرغن أكثر 3500 مخطوط ووثيقة جلها سودانية ما عدا نسبة ضئيلة تعود إلى تاريخ الإسلام في شرق أفريقيا (الساحل السواحيلي) وغرب أفريقيا. وتمثل مجموعة الخرطوم التي نحن بصددالحديث عنها جزءًا من الوثائق السودانية التي أودعها أوفاهي لمكتبة جامعة بيرغن. تتمثل أهمية هذه المجموعة في أنها تغطي فترة تاريخية تمتد من السلطنة الزرقاء مروراً بالتركية والمهدية والحكم الثنائي وسودان ما بعد الاستقلال حتى 1981م. وتعود أصولها الجغرافية إلى عدة أقاليم سودانية. كما تغطي موضوعات واسعة من تاريخ السودان في الفترة المشار إليها فعلى سبيل المثال لا الحصر تتناول مواضيع اجتماعية واقتصادية وإدارية وسياسية ودينية تتعلق بمعظم أرجاء السودان.

أصول المخطوطات والوثائق ومصادرها:

تم نسخ الغالب من هذه الوثائق من مصادر أصلية تعود في أصولها إلى دار الوثائق القومية وأرشيف بعض المصالح الحكومية وأرشيف بعض الأسر السودانية وما جمعه بعض الباحثين من جامعة بيرغن، وغيرهم من الباحثين الأوربيين الذين خصوا بروفيسور أوفاهي بصور من هذه الوثائق. فضلاً عن تصوير بروفيسور أوفاهي لبعضها من عدد من الكتب المطبوعة.

وتتكون مجموعة الخرطوم من 164 تتوزع أصولها ومصادرها كالآتي:

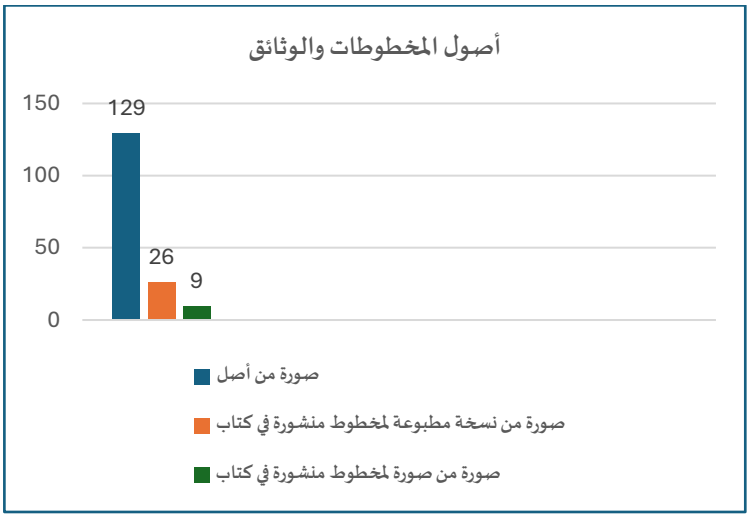

أدناه نموذج صورة لمخطوط مصورة من أصل، عبد الماجد (1319 هـ)

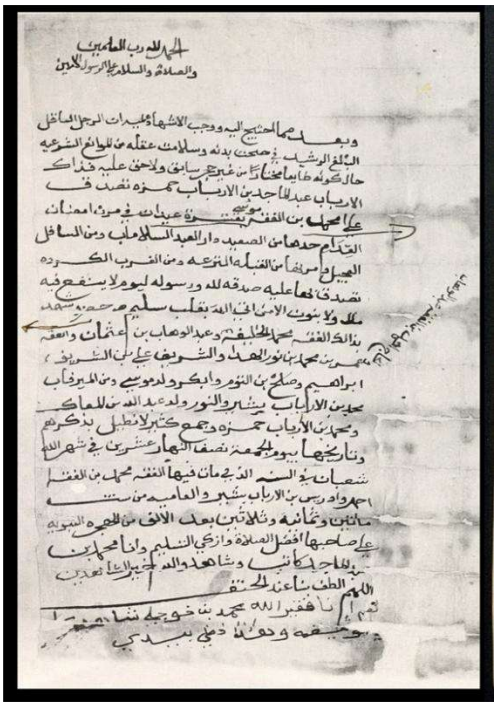

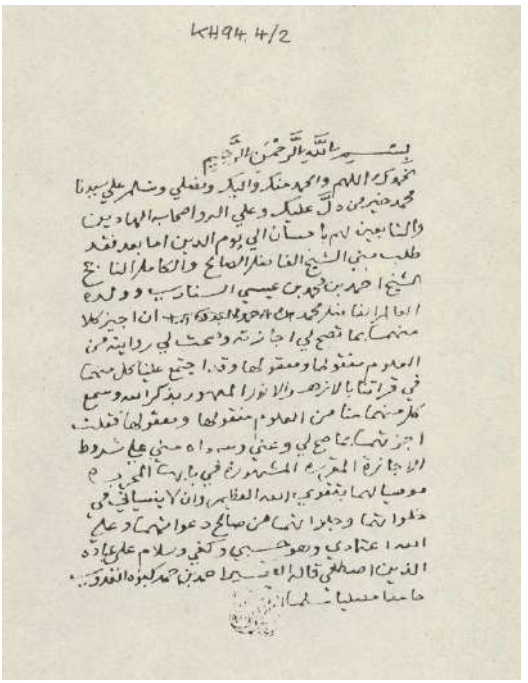

نموذج لصورة من صورة لمخطوط منشورة في كتاب: عليش (د.ت.)

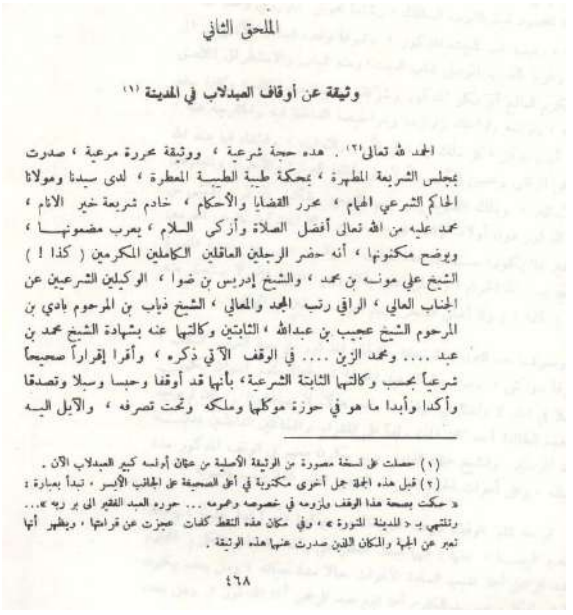

الملحق الثاني

وثيقة عن أوقاف العبدلاب في المدينة [1]

الحمد لله تعالى[2] . هذه حجة شرعية ، ووثيقة محررة مرعية ، صدرت بمجلس الشريعة المطهرة ، بمحكمة طيبة الطيبة المعطرة ، لدى سيدنا ومولانا الحاكم الشرعي الهمام ، محرر القضايا والأحكام ، خادم شريعة خير الأنام ، محمد عليه من الله تعالى أفضل الصلاة وأزكى السلام ، يعرب مضمونها ، ويوضح مكنونها ، أنه حضر الرجلين العاقلين الكاملين المكرمين (كذا !) الشيخ علي مونسه بن محمد ، والشيخ إدريس بن ضوا ، الوكيلين الشرعيين عن الجناب العالي ، الراقي رتب المجد والمعالي ، الشيخ ذياب بن المرحوم بادي بن المرحوم الشيخ عجيب بن عبدالله ، الثابتين وكالتها عنه بشهادة الشيخ محمد بن عبد .... ومحمد الزين .... في الوقف الآتي ذكره ، وأقرا إقراراً صحيحاً شرعياً بحسب وكالتها الثابتة الشرعية ، بأنها قد أوقفا وحبسا وسبلا وتصدقا وأكدا وأبدا ما هو في حوزة موكلها وملكه وتحت تصرفه ، والآيل اليه

(١) حصلت على نسخة مصورة من الوثيقة الأصلية من عثمان أولاده كبير العبدلاب الآن .
(٢) قبل هذه الجملة جمل أخرى مكتوبة في أعلى الصحيفة على الجانب الأيسر ، تبدأ بعبارة : « حكمت بصحة هذا الوقف ويلزمه في خصوصه وعمومه ... حرره العبد الفقير الى ربه »... وتنتهي بـ « للمدينة المنورة » ، وفي مكان هذه النقط كلمات عجزت عن قراءتها ، ويظهر أنها تعبر عن الجهة والمكان اللذين صدرت عنها هذه الوثيقة .

٤٦٨

نموذج صورة لمخطوط مصور من نسخة مطبوعة في كتاب: ابن عبد الله (1149 هـ)

ولابد من الاشارة إلى أن هنالك بعض المعلومات غير متوافرة في بعض المخطوطات مثل المؤلف أو التاريخ أو المكان، وهي تفتح المجال واسعاً أمام الباحثين للسعي للوصول إليها. وبالرغم من أنه يمكن تحديد الفترة الزمنية بالتقريب إلا أن مزيداً من البحث يمكن أن يقود إلى معرفة المؤلف والكاتب ومكان صدور الوثيقة. ويوضح الرسم الآتي المعلومات غير المكتملة في بعض المخطوطات والوثائق والتي سيعمل قسم المجموعات الخاصة بتحديثها باستمرار لأجل إكمال بعضها.

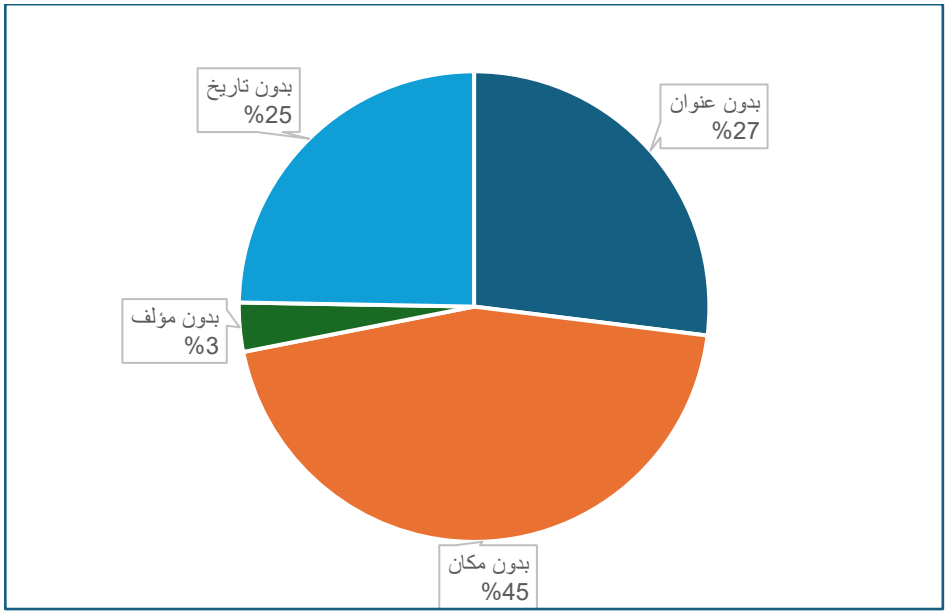

الحالة العامة لمخطوطات ووثائق مجموعة الخرطوم:

نتيجة للاهتمام الذي تجده هذه الوثائق من قسم المخطوطات بجامعة بيرغن فإن أغلب هذه الوثائق مقروءة وبحالة جيدة باستثناء عدد قليل بدأ حبره ينفد. وهذا كما علمت ستتم إعادة تصويرها مرة أخرى من الصور التي أودعها بروف أوفاهي للمكتبة. وتمتاز هذه المجموعة بأن بعض صورها مصحوبة بنسخ بخط اليد مما ييسر الأمر على الباحثين الذين قد يجدون صعوبة في قراءة الخط الذي كتبت به هذه الوثائق وبصفة خاصة الوثائق التي بدأ حبرها في النفاد. ولابد من التنبيه هنا بألا يعتمد الباحث على النسخة اليدوية إذ لابد من التدقيق والمقارنة بين النسخة اليدوية وصورة المخطوط. أيضاً هنالك بعض الوثائق -كما أشرنا- مصورة من كتب وهذا أيضاً يتطلب من الباحث الوصول إلى أصول هذه المخطوطات إن وجدت، ومقارنتها بالصورة المنشورة أو المطبوعة في الكتب، وعدم أخذها على أنها مسلمات؛ لأن الخطأ في الطباعة أمر وارد خاصة في الوثائق التي طبعت ولم تصور من من أصولها.

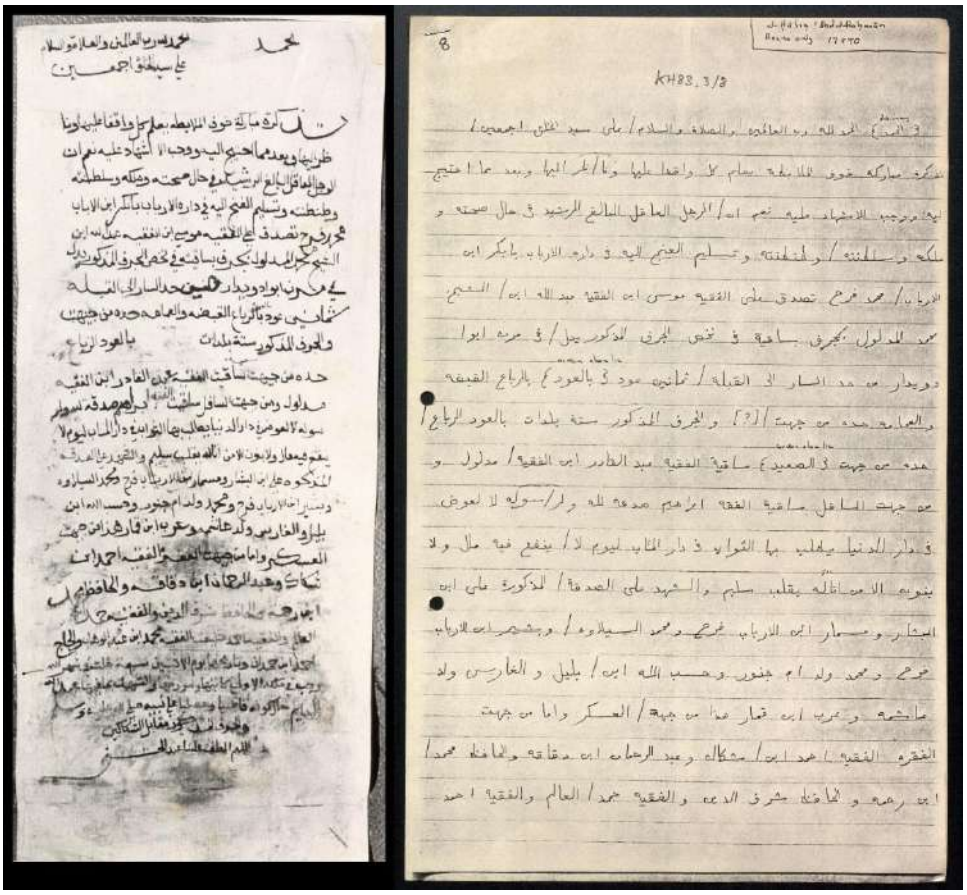

نموذج لصورة لمخطوط مصحوبة بنسخة بخط اليد: فرح(د.ت)

كتلوج البيانات الوصفية:

يشتمل الكاتلوج البيانات الوصفية اللازمة لرقمنة مخطوطات ووثائق مجموعة الخرطوم الذي تم اعداده على الحقول المعتادة مثل عنوان المخطوط أو الوثيقة ومؤلفها وتاريخها إلى جانب بعض الحقول المهمة مثل المكان والكلمات المفتاحية وعبارات الأختام والكاتب والاستشهادات (الدراسات التي استشهدت بالمخطوط أو الوثيقة). وهذه الأخيرة غاية في الأهمية للباحثين؛ لأنها تتيح لهم مراجعة الدراسات التي أجريت حول المخطوط أو الوثيقة. وهذا الحقل من النادر توافره في الكتلوجات المشابهةفضلاً عن أنه من الحقول التي سيتم تحديثها باستمرار. كما يتميز الكاتلوج بثنائية اللغة حيث يتيح البحث باللغتين العربية والإنجليزية وذلك حتى يتيح الفرصة لعدد أكبر من الباحثين والدارسين وحتى هواة التاريخ من الذين قد تقف اللغة الإنجليزية عائقاً امامهم في البحث في هذه الوثائق. فضلاً عن أنه يمنح مكتبة جامعة بيرغن أفضلية مقارنة

مع العديد من الجامعات الغربية التي بها وثائق سودانية، ولا يتوافر فيها البحث إلا بلغة الدولة التي بها الجامعة. ويعود الفضل في ذلك إلى مشاركة د. خليفة محمد عمر في فريق مشروع الرقمنة، وإسهامه في إعداد كتالوج البيانات الوصفية اللازمة لرقمنة مخطوطات ووثائق هذه المجموعة، وتقدمه باقتراح – وجد قبولاً طيباً من إدارة قسم المخطوطات – وهو أن يكون كتلوج البيانات الوصفية لمجموعة الخرطوم ثنائي اللغة. وهذا الكتلوج سيمثل بداية لتحويل الكتلوجات السابقة للمخطوطات والوثائق السودانية لكتلوجات ثنائية اللغة.

نماذج من المخطوطات في مجموعة الخرطوم:

بما أنه ليس من الممكن استعراض كل المخطوطات الوثائق في مجموعة الخرطوم، وما تناولته من مواضيع في هذا المقال فلذا سنكتفي بعرض نماذج مصورة منها تعود للسلطنة الزرقاء والفترة التركية والدولة المهدية، ثم نلقي بعضاً من الضوء على الوثائق التي جمعتها د. كركلاند جزءاً من بحثها الميداني أثناء إعدادها لدرجة الدكتوراه، وهي تغطي فترتي الحكم الثنائي وسودان ما بعد الاستقلال حتى عام 1981م.

نموذج لصورة مخطوط يعود للسلطنة الزرقاء: ابن طبل (1230 هـ)

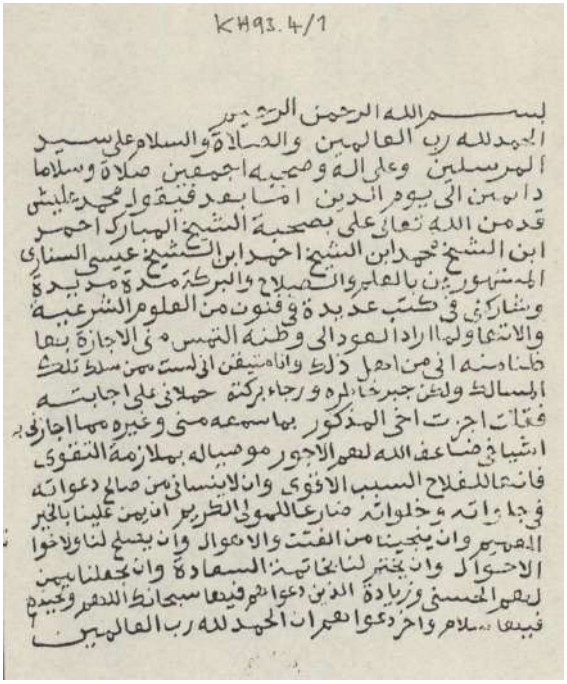

نموذج لصورة مخطوط يعود للفترة التركية: عليش (د.ت.)

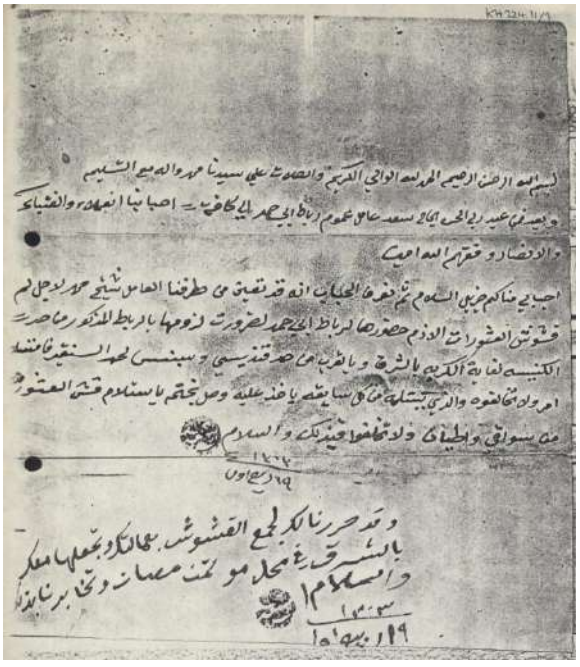

نموذج لصورة مخطوط يعود للدولة المهدية: سعد (1303 هـ)

نموذج لصورة مخطوط بدون مؤلف وعنوان ومكان وتاريخ: مجهول (د..ت)

ملف عقودات الزواج والطلاق:

هذا أحد ملفات مجموعة الخرطوم ويحتوي على عدد الوثائق التي مثلت جزءاً من المادة العلمية التي جمعتها د. كركلاند Kjerland (1982) خلال بحثها الميداني في السودان. وهي تعد لدرجة الدكتوراه حول عادات الزواج بين الجعليين. وقد تم جمع هذه الوثائق من منطقة شندي، ام درمان ومدينتي رفاعة وكوستي. ويعود تاريخ هذه الوثائق إلى الفترة من 1905 -.1981م. تضم هذه الوثائق 48 وثيقة منها 45 عقد زواج، و3 وثائق طلاق. وبالرغم من أن كركلاند استندت على هذه الوثائق في بحثها إلا أن هنالك جوانب لم تتعرض لها ولم تغطها في دراستها. ومنها على سبيل المثال لا الحصر تفاصيل الصداق التي وردت في بعض عقودالزواج. وخاصة الوصف الدقيق لما يشتمل عليه الصداق بجانب المبالغ المالية. فاحياناً قد يشتمل الصداق على أثاث منزلي أو أرض زراعية أو ماشية كالجمال والأبقار والحمير وضأن وأغنام -خاصة في المنطقة حول شندي- حيث يرد ذكرها في تفاصيل الصداق مصحوبة بتفاصيل دقيقة. فاذا اشتمل الصداق على جمال مثلاً فيذكر لونها وعمرها ووسمها وذات الأوصاف أيضاً للأبقار عندما ترد في الصداق. أما الحمير فيذكر لونها. بينما يذكر سعر الضأن والأغنام وعددها دون ذكر للونها أو وسمها أو عمرها. وهذه كلها لها العديد من الدلالات الاجتماعية والاقتصادية التي تحتاج لمزيد من الدراسة. فمن المعلوم أن هنالك قبائل في المنطقة والمناطق

المجاورة تمتلك أفضل سلالات الماشية وتفتخر بها، وتميزها عن غيرها من سلاسلات القبائل الأخرى بوسم خاص بها تضعه على ماشيتها بطريقة معينة معلومة كذلك هنالك ألوان من الماشية تفضل على غيرها من الألوان، فضلاً عن أن هذا يدعو لمقارنة عقود منطقة شندي بعقود جمعت من المناطق الأخرى في نفس الفترة اقتصر فيها الصداق على المبالغ المالية. أيضاً يلاحظ أن ذكر الماشية والأثاث أو الأرض الزراعية بوصفه جزءاً من الصداق توقف بعد عام 1940م، وهذا أيضاً يطرح عدداً من الأسئلة عن أسباب التوقف. هذا بالاضافة إلى أن هذه الوثائق يمكن أن تستخدم مع وثائق أخرى كشهادات الميلاد أو الوفاة باعتبارها مصادر لدراسة الأنساب وتاريخ الأسر. بينما يمثل التغيير الذي طرأ على شكل الوثيقة خلال الفترة من 1905 حتى 1981م مادة أخرى للبحث. هذه فقط أمثلة لعديد من التساؤلات التي تجعل هذه الوثائق مادةً خصبةً للدراسين والباحثين، وبصفة خاصة في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي. كما أنها تلفت انتباه الباحثين إلى القيام بدراسات مماثلة من مناطق أخرى من السودان؛ فهذا النوع من الدراسات يُعد نادراً إن لم يكن معدوماً في المدرسة التاريخية السودانية.

وتتكون مجموعة عقودات الزواج والطلاق من 52 وثيقة موزعةً كالآتي:

نماذج تفاصيل صداق:

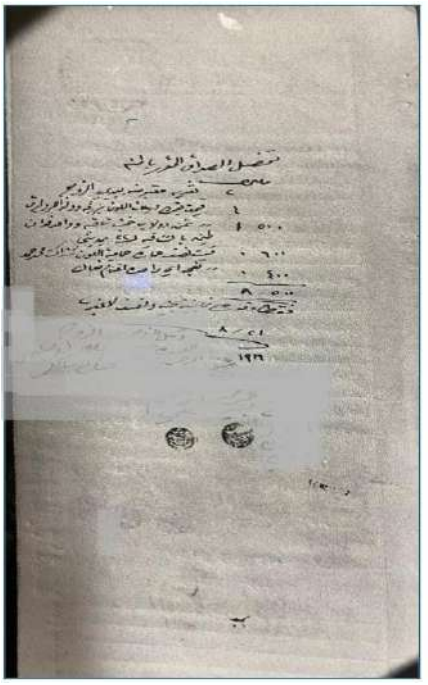

نموذج تفاصيل صداق وقد تضمنت وصفاً للون بقرة وحمارة: عثمان (1916)

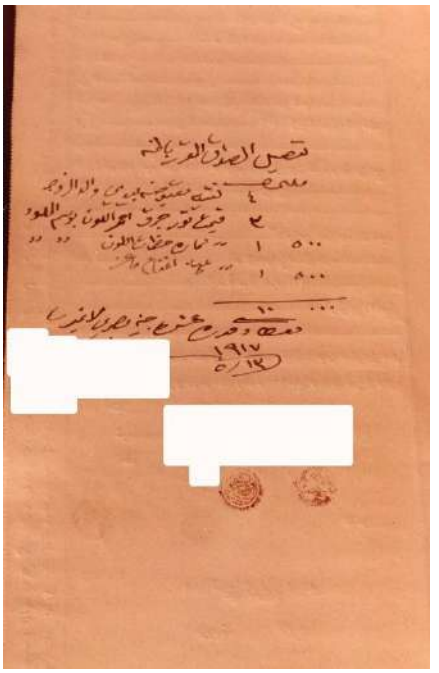

نموذج تفاصيل صداق وقد تضمنت وصفاً للون ثور ووسمه ووصفاً للون حمارة: عثمان (1917)

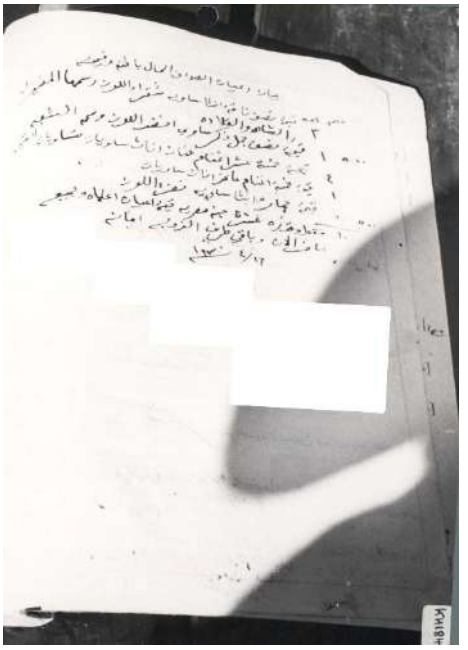

نموذج لتفاصيل صداق وقد تضمنت وصفاً للون ناقة وجمل ووسمهما: عثمان (1917)

الخاتمة:

إن مخطوطات ووثائق مجموعة الخرطوم كما قدمنا لاتمثل إلا جزءاً يسيراً مما تحويه مكتبة جامعة بيرغن على مستوى المخطوطات السودانية، وهي غنية من حيث موضوعاتها ومجالاتها، كما أنها مادة معرفية خام تحتاج إلى البحث والدراسة، سواء أكان هذا بالنسبة لأهل اللغة الذين يهتمون بدراسة لغة المخطوط، أو أنواع الخطوط التي كتب بها أو لأهل الفنون والتاريخ وعلم الاجتماع.

لا شك أن اهتمام الباحثين بدراسة هذه المخطوطات والوثائق يمكن أن يُسهم في صياغة مجموعة من الأسئلة التي يتناولها البحث في مجال المخطوطات والوثائق السودانية، مثل العوامل الاجتماعية والثقافية والدينية التي المرتبطة به، وكذلك الوظائف التي أُسنِدت إليه. علاوةً على ذلك، فإن البحث الدقيق والجدي في هذا المجال سيُسهم بلا شك في إلقاء الضوء على مدى إسهامها في كتابة بعض أحداث التاريخ أو الثقافة السودانية، وإثراء الدراسات في هذا المجال. ونحسب أن المبادرة إلى التعريف بالمخطوطات السودانية في أي موقع من المواقع العلمية العامة أو الخاصة، تمثل مرحلة أساسية للانطلاق نحو الإجابة عن الأسئلة المطروحة.

لقد أصبح واجباً على الباحثين والدارسين السودانيين والجامعات مراكز البحوث والدراسات السودانية التي تُعنى بهذا التراث الثقافي الذي يخدم تاريخها وتراثها وحضارتها، وأن توجه الطلاب والباحثين له، وأن تسعى لدى المؤسسات الوطنية والعلمية التي تعنى بالتراث لتوفير المنح التي تمكن الطلاب والباحثين من الاطلاع على هذه المخطوطات ومعاينتها في مظانها. وأن نعمل على إقامة الشراكات وتوثيق العلاقات مع مراكز الوثائق السودانية خارج السودان؛ لأجل الوصول إلى أفضل السبل لإتاحة هذه الوثائق للباحثين والدارسين السودانيين وغيرهم. كما نأمل أن يمثل هذا المقال إحياءً للتعاون بين مكتبة جامعة بيرغن وجامعة الخرطوم عبر قسم التاريخ ومكتبة جامعة الخرطوم، وتطويره لمصلحة الجامعتين والباحثين والدارسين السودانيين.

المراجع والمصادر

المخطوطات:

- الأرباب حمزة، الأرباب عبد الماجد، إشهاد شرعي (23-1-1319)، مخطوط رقمKH79.3/4 ، مكتبة جامعة بيرغن
- سعد، الحسن الحاج، بدون عنوان (26-12-1885)، مخطوط رقم KH224.11/1، مكتبة جامعة بيرغن
- ابن طبل، السلطان بادي، حجةسلطانية (17-3-1149)، مخطوط رقم: 9/ KH9.1، مكتبة جامعة بيرغن
- ابن عبد الله، الشيخ ذياب بن بادي بن عجيب، وثيقة أوقاف العبدلاب (17-3-1149)، مخطوط رقم KH164.8/8، مكتبة جامعة بيرغن
- عثمان، بشير محمد، تفاصيل صداق (21-8-1916) مخطوط رقم، KH180.10/5، مكتبة جامعة بيرغن
- عليش، الشيخ محمد، إجازة شرعية (د.ت.)، مخطوط رقم، KH94.4/2، مكتبة جامعة بيرغن
- عليش، الشيخ محمد، إجازة، (د.ت)، مخطوط رقم KH93.4/1، مكتبة جامعة بيرغن
- فرح، الأرباب بابكر بن الأرباب محمد، تذكرة مباركة، مخطوط رقم KH83.3/8، مكتبة جامعة بيرغن
- مجهول، بدون عنوان (د.ت)، مخطوط رقمKH13.1/13، مكتبة جامعة بيرغن

المراجع:

Kjerland, K. A, 1982. *The Fetters of Memory: The changing pattern of marriage among the Ja'aliyyin, 1915 to 1981*, Bergen University